بليخانوف». غير أننا سنلاحظ بأن وعي هذا الناقد بضرورة التمييز بين الكتابة الابداعية، وأشكال التعبير الإديولوجي المباشر، بقي حبيس المجال النظري وحده، بينما ظل خاضعاً ـ في المجال التطبيقي ـ على الدوام للنظرة الجدلية السابقة التي تَعْتَبِرُ الرواية شكلاً عادياً من أشكال الإديولوجيا. إن وعي «بليخانوف» بخصوصية الإبداع الأدبي ـ على المستوى النظري ـ لم يُمَكِّنْهُ، مع ذلك من تحديد الوسائل، والأدوات التي تسمح باكتشاف الأبعاد الجمالية للرواية، كما أنه ظل، عل الرغم من كل شيء، يحتفظ بالمفاضلة الواضحة بين أهمية الجانب الدلالي، وأهمية الجانب الجمالي. فهو مثلاً يرى أن اكتشاف الرؤية الإديولوجية للكاتب هي أول شيء ينبغي أن يقوم به الناقد، وتبقى المهمة الثانية، هي تقييمُ الجانب الجمالي[89].

ومَعَ أن «بليخانوف» يؤكد في بعض ملاحظاته بأن إهمال الناقد للجانب الجمالي يؤدي إلى جهل تام بحقيقة النقد الأدبي، وإلى تحريف وجهة النظر النقدية المادية نفسها[90]، فإن كلامه هذا ـ ما دام يأتي في سياق التركيز الشديد على أهمية الدلالة الإديولوجية، واعتبارها أول شيء ينبغي البحثُ عنه في النص الأدبي ـ أقول إن كلامه هذا لا تبقى له قيمة كبيرة ضمن تصوره النظري النقدي. ويكفي أن نسجل أن «بليخانوف» يتحدث عن فعلين أساسيين في العملية النقدية الجدلية:

الفعل الأول: وهو متعلق بضرورة اكتشاف الناقد للمعادل السوسيولوجي.

الفعل الثاني: وهو متعلق بتقييم الجانب الجمالي.

يقول:

«وبصفتي نصيراً للتصور المادي للعالم سأقول: إن الواجب الأول للناقد يكمن في ترجمة فكرة ذلك النتاج من لغة الفن إلى لغة علم الاجتماع في تحديد ما يمكن أن نسميه المعادل السوسيولوجي للظاهرة الأدبية المعطاة»[91].

ولا بد من التنبيه قبل الكلام عن الفعل الثاني في العملية النقدية، إلى أن «بليخانوف» عندما يتحدث عن المعادل السوسيولوجي، لا يقصد بذلك المقابلة المباشرة بين مضمون العمل الأدبي والواقع الاجتماعي العياني، إنه يقصد بالمعادل السوسيولوجي، ما يمثل

---

(89) جورج بليخانوف: **الفن والتصور المادي للتاريخ**. ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت. ط 1. 1977، ص 59 - 60.

(90) المرجع السابق، ص 50.

(91) نشير هنا إلى أن بليخانوف اهتم كثيراً بالأدب المسرحي في كتابه: **الفن والتصور المادي للتاريخ**. ونحن لا نجد سوى دراسة واحدة عن رواية: **ما العمل؟** لـ تشير نيشفسكي. ومع ذلك فإن المقاييس التي وضعتها أثرت في النقد الروائي الذي جاء بعده، لهذا يُعتبر رائداً في هذا المجال.